في ظلال الزيتونة

رواية

أطلال في الزيتونة

كمال السيّد


بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: في ظلال الزيتونة
تأليف: كمال السيّد
الطبعة الثالثة: مايو ٢٠٢٣ - ذي القعدة ١٤٤٤ هـ
إعداد ونشر: مؤسسة كلمات للطباعة والنشر
البريد الإلكتروني: kaleemat.pub@gmail.com

kamal.alsayeed

كلمات

الموقع الرسمي

الفهرس

في البدء ٧
عود على بدء ١٨
شجرة أهل البيت عليهم السلام ٢٣
شمس الكلمة ٢٦
المشكاة ٢٦
المصباح والزجاجة ٣٤
خصائص الشجرة ٣٦
لا شرقيّة ولا غربيّة ٤٢
الطغيان ٥٢
نور على نور ٥٦
يهدي الله لنوره من يشاء ٥٧



﴿اللهُ نُورُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ...﴾

النور: ٣٥

«أنا فرع من فروع الزيتونة؛ وقنديل من قناديل النبوّة؛ ومصباح من مصابيح المشكاة؛ التي فيها نور النور؛ وصفوة الكلمة الباقية»

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

في البدء

كنت قد كتبت هذا المقال منذ شهور ولم أكن متحمساً لنشره؛ غير أن ظهور أحد الأشخاص في لقاء حاول التشكيك في سماوية القرآن الكريم؛ حيث راح يجدّف ساخراً من بلاغة كتاب الله، وادّعى بصفاقة أنه سيثبت أن نهج البلاغة أكثر بلاغة من القرآن الكريم، واستشهد بقول للإمام علي عليه السلام:

«ولا تقل ما لا تعلم وإن قَلَّ ما تعلم» مقارناً هذه الجملة بنص قرآني وتحديداً آية النور:

﴿اللّهُ نُورُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

طبعاً؛ هو لم يكمل هذه الآية «٣٥» من سورة النور، إذ أنه - عندما وصل إلى قوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال بكلّ وقاحة: جمهوريّة إسلاميّة!!

قالها بسخريّة وبطريقة أضحكت بعض الحضور!

طبعاً؛ تعود معرفتي به إلى فترة بعيدة، والتقيته بعد سقوط النظام بفتره وجيزة خارج العراق، وجاء اللقاء بناء على دعوة من صديق لمناقشة أفكاره إذ أنه بصدد نشر كتاب لنسف سماويّة القرآن!!

تحدّث عن سورة قريش نموذجاً متسائلاً عن وجه الإعجاز فيها؟!

كان ضمن ما قلته في اللقاء:

- شخصيّاً تجلّى لي إعجاز هذه السورة المباركة لدى عودتي إلى الوطن بعد سقوط الصنم بعد ثلاثة أسابيع أو أكثر مُنهياً غربة استمرت زهاء ربع قرن من الزمن.

بدت ساحة النهضة في بغداد في ساعة الأصيل غابة مخيفة تضج بالذئاب!!

حتّى إن السائق «الجمسي»، وكان شاباً من أهالي البصرة ومعه شقيقه أو صديقه، أبى أن يتركنا وكنا عشرة!!

فقرّر أن يوصلنا إلى بيوتنا ويطمئن على سلامتنا!

لقد عصف الجوع والخوف بالعراق، وحطم المنظومة الأخلاقيّة لشعب العراق العريق.



فقـدَت الحياة طعمها بسـبب الظروف القاسـية التي مـرّت بهذا البلد الكريم، وتذكّرتُ حديثاً للإمام جعفر الصادق عليه السلام جاء فيه:

- يحتاج الناس جميعاً إلى ثلاثة (أشياء):

«العدل والأمن والخصب».

لقـد أمرنـا سـيّدنا محمّـد صلى الله عليه وآله أن نتمسّـك بالقـرآن وأهـل البيـت فـي حديث شهير عرف بـ«حديث الثقلين»، وذكر أنّهما مرتبطان متواكبان في المسيرة، يفسّر أحدهما الآخر..

من أجل ذلك رأيت نشر هذا المقال ودعوة شبابنا الأعزّاء لقراءة القرآن الكريم هدية السـماء إلى الأرض واكتشـاف بعض أسـرار الشجرة المباركة الزيتونة.

أمّـا أولئـك الذيـن يسـخرون مـن كلمـات الله، فلـن تنفعهـم دولـة قطر ودولاراتها، وسيكفي الله المستهزئين.

ولـذا؛ لا أريـد أن يفهـم القارئ الكريـم أنّ هذه الكلمات تأتـي ردّاً على تخرّصـات هذا الشـخص وغيره وما أكثر هؤلاء الضائعيـن اليوم وغداً كما هم بالأمس.

بقـي أن أسـتعيد مـن التاريـخ حادثتيـن: الأولـى تتعلّـق بالفيلسـوف (الكِنـدي) وقد تناهى إلى الإمام الحسـن العسـكري عليه السلام أنه يشـتغل على تأليف كتاب في «تناقضات القرآن»!

ودخل أحد تلامذة الكِندي على الإمام فقال له عليه السلام:

- أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكِندي عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟!

فقال التلميذ: نحن تلامذته! كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا وفي غيره؟!

فقال عليه السلام: أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: فصر إليه، وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها! فإنه يستدعي ذلك منك (يطلب منك طرحها)، فقل له: إن أتاك هذا المتكلّم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلّم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنّك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول إنه من الجائز؛ لأنّه رجل يفهم إذا سمع؟ فإذا أوجب ذلك، فقل له: فما يدريك لعلّه قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فتكون واضعاً لغير معانيه»[1].

وتذْكُر الرواية أن التلميذ في البداية تظاهر بأنّه يعاونه على إنجاز مشروعه، ثمّ طرح هذه الإشكالية، وخلاصتها أن ما تذهب إليه حول وجود تناقضات في القرآن، إنّما هي في الحقيقة تناقضات فهمك للقرآن وتناقضات قراءتك للنص القرآني!

١. بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣١١.

وتذْكُر الرواية أن الكِندي طلب منه أن يعيد تساؤلاته، وأصغى إليه وكان الرجل عالماً، فعمد إلى إتلاف كلّ ما ألّفه بهذا الصدد، وانتهى المشروع.. فالإشكال وارد تماماً.

وأمّا الأخرى فتتعلّق بـ«ابن الراوندي» الذي ولد في قرية راوند عام ٢١٥ للهجرة بين أصفهان وكاشان في إيران، وقد بدأ حياته مسلماً، وانتهى ملحداً منكراً لوجود الله، فقد ألّف «عبث الحكمة»، وهاجم عقيدة التوحيد، وألّف «الدامق» في معارضة القرآن الكريم، و«الفرند» الذي هاجم فيه الرسل والأنبياء!!

وكان هذا الرجل متذبذباً في أفكاره، كان في بداية أمره معتزليّاً، ثمّ ألّف كتابه «الإمامة»، هاجم فيه المهاجرين والأنصار الذين عصوا الرسول في مسألة خلافة الإمام علي عليه السلام باستثناء خمسة أو ستّة منهم.

وأثار الكتاب غضب المعتزلة، فردّ عليه أحدهم[1] وهاجمه واتّهمه بالانحراف والفسق، فألّف كتاباً تحت عنوان «فضيحة المعتزلة» ردّاً على كتاب الجاحظ «فضيلة المعتزلة»، فانبرى له الخياط مرّة أُخرى وألّف كتابه «الانتصار» في الردّ على ابن الراوندي.

وأجرى بعض زعماء المعتزلة اتّصالات مع السلطات، ورفعوا إليها تقارير حول خطورة أفكاره، فصدرت أوامر باعتقاله غير أنّ ابن الراوندي فرّ من بغداد واختبأ في مكان ما في الكوفة؛ حيث توفّي في حدود ٢٩٨ - ٣٠١ هـ.

١. أبو الحسين بن عثمان الخيّاط، انظر الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، ص٢١٦.



وتضاربت المعلومات حول هذا الشخص المثير للجدل فقيل أنّ أباه كان يهوديّاً فأسلم، فقال اليهود للمسلمين إنه سيخرّب عليكم دينكم كما خرّب علينا ديننا!

كما تضاربت الروايات في الأسباب التي دعت ابن الراوندي إلى هذا التذبذب في عقيدته، وذكر بعضهم أنّ السبب يعود إلى فقره، وأنه كان يؤلّف الكتب استجابة لإغراءات ماليّة وهو أمر غير مستبعد؛ إذ نرى في وقتنا الحاضر كيف يجرّد البعض قلمه في تأليف كتب وكتابة مقالات تحت تأثير الإغراءات في الحصول على مبالغ ماليّة ضخمة!

من هنا ينبغي ألّا نشعر بالدهشة والصدمة جرّاء وجود بعض الشخصيّات الهزيلة تحاول التشويش على أذهان الشباب في زمن الفوضى واختلاط الأوراق.

لهذا؛ أضع بين أيدي شبابنا الأعزّاء هذه الكلمات حزمةَ ضوء مستمدّ من آيات النور.

كمال السيّد



لا تهـدف هذه السـطور إلى بيان وشـرح الرؤيـة في قراءة النـصّ القرآني لدى المفكّر الراحل «عالم سبيط النيلي» بقدر ما تؤلّف دعوة إلى الاطّلاع على هذه النظريّة الجديدة.

أعتقـد أن أفكار ونظريّات المفكّر الكبير هي بمثابة إلقاء حجر ضخم فـي بحيـرة راكدة، وأنّ الموجات التي سـتحدثها أو التـي أحدثتها بالفعل سوف تصل إلى جميع ميادين الفكر والثقافة والأدب ولو بعد حين.

ولقـد سـاعدت دراسـات عالـم سـبيط النيلـي العميقـة فـي الفيزيـاء والهندسـة الإلكترونيـة فـي أن يطرح أفكاره ونظريّاته على نحـو منظّم وفي إطار منهجي رصين.

وأعتقد أنّ المفتاح الرئيسـي لفهم النظريّة (النيليّة) يكمن في قصديّة اللغة وتحديداً لغة القرآن الكريم أو في ما سمّاه في واحد من أفخم مؤلّفاته بـ«النظـام القرآنـي»؛ حيـث يؤكّد أنّ مبدأ القصديّة يفسّـر النـصّ (القرآني) بطريقته الخاصّة التي تنهض على عشـر ركائز هي [لا ترادف - لا مشـترك لفظـي - لا حـذف - لا تقديـم - لا تأخيـر - لا زيادة - لا كناية - لا مجاز - لا

استعارة - لا إيجاز وإطناب].

وقبل أن نتطرّق إلى مفهوم الشجرة لدى المفكّر الراحل من المفيد أن نستعرض مشكلة الإنسان الكبرى في الحياة ألا وهي «الأنا»، وسعي الإنسان إلى تحقيق مصالحه الأنانية؛ «فكلّ كائن إنساني يضع للأنا الداخلي لديه موضعاً مقابل الأمر الإلهي إنّما يريد بهذا مشاركة الإله في - ألوهيته، ولذلك كان الكفر ببعض الكتاب كفر بالكل، والكفر بأمر واحد كفر بالجميع.

ذلك أنّه؛ إذا آمن الإنسان بأجزاء محدّدة واستبعد أخرى، فهذا يعني أنّ الأجزاء التي آمن بها تتوافق مع مصالحه الذاتيّة أو محقّقة لها في حين أنه إذا رفض الإيمان بشيء ولو كان ضئيلاً، فإنه كفر؛ لأنّه يكشف عن حقيقة الذات الإنسانية كلّها»، ويفضح كلّ توجّهاتها. وقد تمكّن النيلي من فك رموز قصّة الخلق وموقف إبليس من مسألة السجود لآدم عليه السلام، فإبليس «لم ينكر أن الله هو الخالق، وأنّه هو الرب الذي لا ربّ فوقه»، وإنّما تبنّى قراراً مخالفاً لأمر الله، فكشف بذلك عن «حقيقة أفكاره».

وهنا تكمن حقيقة التوحيد وهي التسليم لله الواحد في كلّ شيء.

«فعلَيَّ أن أقبل بالعبوديّة والتسلّط والقهر الإلهي، لكي أبرهن على أني راضٍ تمام الرضا بالإله الواحد»، فإذا فكّر الإنسان بخيار آخر غير الخيارات الإلهية، فهذا يعني نزوعه إلى المشاركة في - الألوهية.

و «هذا الفهم للتوحيد ليس من خارج النفس»، وإنّما ينبع من داخلها

فهو يثير فيها مخاوف عميقة - وآمالا.

وهذا ما يفسّر الحالة النفسيّة لدى الأنبياء، «فإذا كان القدر قد جعلهم مثلاً» لنور الله، فإنهم يعيشون حالة خوف مستمر من بروز الأنا خاصّة - عندما تتحقّق على أيديهم المعجزات الكبرى، - ويحصلون على «قدرات خارقة لقوانين الطبيعة»؛ إذ يتوجّب عليهم في تلك اللحظات المصيريّة الشعور بالانسحاق التام أمام الخالق والقضاء على «الأنا» وقهرها.

وتكشف النظريّات النيليّة عن «معادلة الوجود»؛ إذ ستكون «الحياة الأبديّة هي لأولئك الذين أماتوا الأنا داخل نفوسهم (وهي) حياة معها ملك السموات والأرض و«ملك لا يبلى» بينما الذلّ والهوان وألوان الخزي والعذاب تنصبّ على ذوي الأنا المتعالي».

ويرسم النيلي طريقاً آخر يوصل إلى نفس النتيجة؛ «فحينما أقول إنني كائن حي وعاقل، فإن معنى ذلك كلّه أنني أختار، وأن اختياري هو حياتي»، فيما الموت هو فقدان الاختيار مطلقاً، وما الحياة إلاّ سلسلة متّصلة من الاختيارات، ويتوجب على الإنسان أن يختار ما يبقيه حيّاً، ويعرض عمّا يتهدّد حياته بالخطر.

وإذًا؛ فإن الاختيار هو الغاية والوسيلة، وهو جوهر الحياة.

وأمام تغيّرات الحياة وضرورة الاختيار يقع الإنسان في دوّامة؛ إذ يتراءى خيار ما أنه الأصلح، ثمّ يظهر أنه قد أخطأ، وقد يسعى إلى خيار شاقّ، ثمّ

يكتشف أنه قد أضرّ به كثيراً، فيشعر بالندم.

وفي غمرة هذه الخيارات وما يرافقها من مشاعر الخوف والألم واليأس والندم، إذا به يواجه خيارات الآخرين تزاحم مسيرته، وتتدخّل في تحديد خياراته.

«الطبيعة تحاربني أيضاً، وبدني عرضة لهجمات من كائنات أخرى وقوى كثيرة؛ وما جعلته استمراراً لحياتي من امتلاك للأبناء والأشياء هو في الواقع حجر عثره أمام وجودي وخياراتي الخاصّة».

وهنا تتّضح الحقيقة؛ إذ يكتشف الإنسان أنه عبد وأنه كلّما أراد التحرّر ازداد استغراقاً في عبوديّته للأشياء، وهذه هي محنة الإنسان في العالم، فهو أمام طريقين أحدهما أسوأ من الآخر؛

- أن يكفّ عن التفكير ويظلّ مخدوعاً إلى النهاية؛ يعني أن يمارس (نشاطه) كأيّ حيوان آخر.
- أن ينتحر ويضع حدّاً لحياته وانخداعه.

ولكن الموت لا يعني الفناء «لو كنت أفنى فعلاً أو كنت متأكّداً من فنائي لكان ذلك حلاً معقولاً».

ذلك أنه ثمّة نداء في الأعماق «بأن لي نفساً أو روحاً لا يموت ولا يفنى».

«لكنّي في مأزق آخر أقرب! فإنّي إذ لم أحاول اختيار الموت فإن الموت هو الذي يختارني».



وهنا يقترب الإنسان من الحلّ؛ إذ يتعيّن عليه أن يفهم الموت، وأن يفسّر حياته وموته؛ ذلك أن الموت لغز كما هي الحياة أيضاً.

إنّ الإنسان لا يملك حياته ولا موته، وهو لم يقرّر اللحظة التي وجد فيها، ولا يعرف أبداً لحظة موته، ولا حتّى كيف ومتى وأين؟

لقد صمّم الوجود بطريقة خلاّقة تنطوي على غائيّة عميقة الغور؛ بحيث يجد الإنسان نفسه يركض وراء السراب؛ فثمّة قوّة تدفع بالإنسان بعيداً من أجل معرفة الأشياء، وكلّما تعمّقت تلك المعرفة ازداد قرباً من الحقيقة، وهي الجهل التام بكلّ ما يحيط به من آفاق؛ بل وحتّى نفسه، وحينئذٍ يدرك أن ثمّة طرف آخر في المشكلة (مشكلة الإنسان)، وهو خالق الإنسان الذي ألقى به في أتون هذه الحياة.

«وإذا كانت مشكلتي مشتركة على هذا النحو، فليس ثمّة شيء فيها سوى «أنا وهو» أمّا سائر الأشياء الأخرى فإنما هي سلسلة من المحن.

والخالق هو الطرف القوي المطلق القاهر «الذي أحاط بكلّ وجودي وخياراتي»؛ حيث لا قيمة لخيارات الإنسان إلاّ عندما يختار خالقه فقط، وهذا هو الخيار الوحيد المتبقّي أمامه.

«إنني أدرك الآن أنّ علاقتي بالله هي التجربة الوحيدة التي أخوضها؛ لأكتشف لغز حياتي ومماتي».

ويتوجب على الإنسان أن يشكّك في كلّ الإيحاءات القادمة من خارج نطاق النفس والخالق.



لأن كلّ مكوّنات الطبيعة في صراع مع الإنسان، وتحاول استعباده بينما هو يسعى إلى التحرّر منها، وفي اللحظة التي يهتف فيها الإنسان من أعمق أعماق قلبه: هو الله أحد؛ يكون قد ألغى الأنا في نفسه، وحينئذٍ؛ يشعر بثقل القوّة التي تسانده في التحرّر من الاستبعاد للطبيعة والأشياء، وبالتالي فإنه يستعيد ذاته المبرّأة من كلّ إشكال الأنانيّة والنرجسيّة.

وعلى أنقاض «الأنا - الإله» ينهض «الأنا - الإلهي» الذي يمكنه التحكّم بالأشياء والسيطرة عليها.

عبدي أطعني تكن مَثَلي تقول للشيء كن فيكون.

عود على بدء

يقف المرء مبهوراً أمام عمق الأفكار التي تطرحها النظريّات النيليّة، وفي طليعتها مسألة أبينا آدم وأنّ البشر يختلف عن الإنسان وأنّ الله ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ﴾، ومن هنا فإن الإنسان وُجد قبل البشر، وأن الله اصطفى آدم من سلالة الإنسان، ونفخ فيه من روحه، ثمّ أمر الملائكة أن تسجد له، فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس! تمرّد واستولت عليه الأنا والشعور بالتفوّق العنصري الكاذب؛ ذلك أن منشأ النار من الشجر الأخضر، ومنشأ الشجر من الطين وهو التراب زائداً الماء.

ولهذا نجد في القرآن الكريم ذمّاً للإنسان وثناءً على البشر. لقد كان أبونا آدم بشراً اصطفاه الله من سلالة الإنسان، ولهذا أيضاً تعلن النظريّة

النيليّة أنّ الروح ليست النفس، وهذا القرآن يؤنّث النفس ويذكّر الروح.

وتؤكّد النظريّة النيليّة أنّ الكلمات ليست الكلام، وأنّ الكلمات شخوص بشريّة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

وأن ثمّة علاقة وطيدة بين الكلمة والشجرة، ولقد كان المسيح عليه السلام كلمة الله ألقاها إلى مريم، ولهذا يبدأ الكتاب المقدّس بقوله في البدء كان الكلمة ولم يقل «كانت» الكلمة!

وقد ارتبطت الكلمة بالشجرة في موضعين في القرآن الكريم؛ حيث أصبحت الشجرة مثلاً لكلمة، وفي هذا مفتاح للتعرّف على الكلمة من خلال الشجرة.

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[1].

وقد فنّد النيلي ما ذهب إليه المفسّرون من اعتبار الكلمة مرادفاً للفظ أو المفردة؛ حيث أبطل وجود المترادفات في القرآن الكريم الذي يقول: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾، فالكلام الإلهي يتعرّض للتحريف.

أمّا الكلمات فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ و﴿لاَ مُبَدِّلَ

١. إبراهيم: ٢٤.

لِكَلِمَاتِهِ﴾ يقول النيلي: «ونلاحظ أيضاً أنّ الله سبحانه وصف كلامه بأنّه (حق)، ولكنّه قال سبحانه: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾[1]، فقد يزعم زاعم أنّ الحق شيء ذهني في الخارج، وأنّ الله يريد أن يحقه عن طريق القرآن؛ فهذا خطأ فاحش؛ لأنّ الحق لو كان موجوداً في الخارج لكان متحقّقاً، فلا يحتاج إلى تحقيق، وإذا كان الحق فكرة وهدفاً لم يتحقّق بعد، وإنّما هو ذهني فقط، فهو إذًا الحق الذي أمر الله به؛ أي هو كلام الله، وهو إذًا يحتاج إلى تحقيق في الخارج عن طريق كلماته، وإذًا؛ فكلمات الله موجودات فعليه قادرة على تحقيق الحق الذي في كلامه.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2].

(المسيح إذًا «كلمة» من الله)، ومن هنا فإن الكلمات شخوص بشريّة وخلق من خلق الله، وليست تعاليم يمكن تحريفها، وإنّما يمكن قتلها، ويمكن أيضاً عصيانها وإقصاؤها عن القيادة، ولكن من المستحيل تزويرها، وهنا يكمن الامتحان الإلهي في تمييز الخبيث من الطيّب من خلال اتّباع الأنبياء والرسل وأئمّة الحق، ولهذا قال الله عز وجل عن السيّدة مريم عليها السلام: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾.

وينتقل النيلي رحمه الله إلى كشف العلاقة بين النور والشجرة ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[3]؛ حيث يختلف النور عن الكتاب، ولا

١. الأنفال: ٧.

٢. آل عمران: ٤٥.

٣. المائدة: ١٥.

يمكن فهم الموضوع إلاّ إذا عرفنا أنّ النور غاية والكتاب وسيلة.

متطرّقاً إلى الموضوع الأساسي في العلاقة بين النور والشجرة في قوله تعالى: ﴿اللّهُ نُورُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وثمّة فرق كبير بين «النور» المعرّف بـ«ال» التعريف وبين مفردة «نور»؛ فالأخير شعاع واحد من النور الشامل، وهذا الشعاع يقود إلى النور؛ ﴿قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ﴾ ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ﴾، وثمّة ارتباط واضح بين النور وبين الشخوص البشريّة: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[2] ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾.

والنور الذي في الكتب لا ينفصل عنها، لأنّه فيما بينها نور الشخوص، فهو لهم وهو كيان منفصل وشيء يمتلكونه يتحرّك حيثما كانوا، متّصل بهم، وصادر عنهم ﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[3] ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[4].

١. النور: ٣٥.

٢. الحديد: ١٣٠.

٣. التحريم: ٨.

٤. الحديد: ١٢.



يقول النيلي: إنّنا نتوهّم عندما نتصوّر النور على أنه ضوء، وسبب الوهم ليس في كونهما مختلفين في الحقيقة؛ بل بسبب كونهما مختلفين في الظهور فقط.

ليس بمقدور أحد رؤية الضوء مع أنه موجود دائماً، ما يمكننا من رؤيته الأشياء فقط - عندما ينعكس عنها، أمّا الضوء نفسه فلا يرى.

ولهذا؛ فإن روّاد الفضاء لا يرون سوى الظلام الدامس مع أنهم يرون الشمس؛ لانعدام الأشياء التي تحيط بسفينتهم، ولو تسنّى لهم الخروج من السفينة لإصلاح خلل ما لرأوها تسطع في غمرة من الظلام الحالك.

ومن هنا؛ فان رؤية الأشياء إذا سقط عليها الضوء هي الإنارة، والسطح الذي ينعكس عنه الضوء سطح منير؛ فالقمر منير لأنّه يعكس ضوء الشمس.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾[1].

والكتاب الذي يأتي من الله عز وجل منير: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[2]، وثمّة اختلاف بين الكتاب والنور، فالأخير يرتبط بالأشخاص وهو في نفس الوقت مقترن بالكتاب.

وغاية الرسالات الإلهية الارتفاع بالناس إلى مستوى أهل النور؛ يعني إلى مستوى الأشخاص الذين هم في الحقيقة الكلمات التي يحقّ بها

١. الفرقان: ٦١.

٢. فاطر: ٢٥.

الله سبحانه الحق.

وهؤلاء الأشخاص هم الأمناء على الكتاب الإلهي، وهم القدوة التي تتحقّق بطاعتهم هذه المنزلة.

ولما كانت الشجرة مجموعة كلمات فإنها مصدر النور، ولذا ورد في المثل القرآني: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ﴾.

ولقد عصى آدم ربّه، فاقترب من الشجرة بهدف الحصول على المُلك الذي لا يبلى، ولمّا أدرك أنه قد خدع من قِبل الشيطان بادر إلى التوبة، فتوسّل ببعض كلمات الشجرة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[1]، وهنا تتجلّى حقيقة الكلمات وقربهم من الله عز وجل؛ إذ توكّل سبحانه وتعالى عنهم في تعليم آدم فضلهم كما علّمه أسماءهم من قبل.

شجرة أهل البيت عليهم السلام

ويرى المفكّر الراحل أنّ الشجرة سواء في آية النور أو التي نهى الله آدم وحوّاء من الاقتراب منها هي شجرة أهل البيت الملوكيّة، ويشير إلى ما يؤكّد هذه الرواية من خلال التوافق العددي بين خصائص المثل القرآني في آية النور ومكوّناته:

(المشكاة - المصباح - الزجاجة - الشجرة - الزيت.) فهذه خمسة

١. البقرة: ٣٧.

أجزاء يقابلها تكرار «النور» خمس مرّات:

- الله نور السماوات والأرض.
- مثل نوره كمشكاة.
- نور على نور.
- يهدي الله لنوره من يشاء.

وهنا يمتزج الحسي بالعقلي في إشارة إلى الكلمات التي ترمز إلى نور الله. يقول النيلي:

«هذا التمازج يجعلنا نشكّ في أصل التقسيم بين الحسّي والعقلي، وأنت تعلم أنّه مخالف لمقاصدهم الفلسفيّة؛ لأنّ الصورة المعقولة في الأصل متركّبة من المحسوسات، فليس ثمّة تجزئة من هذا النوع حتّى الصورة المتخيّلة مهما ابتعدت في الخيال، فهي مركّبة من المحسوسات سواء كان التركيب منطقيّاً أو لا».

وهنا نرى أيضاً توافقاً عدديّاً للخصائص (خصائص الشجرة) مع عدد الأجزاء الأساسيّة وعدد الأنوار أو الكلمات:

- مباركة وزيتونة - لا شرقيّة - لا غربيّة - يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

وثمّة اتّحاد في المكان والزمان لمكوّنات المشكاة؛ فالشجرة تمثّل جميع الكلمات، أمّا المشكاة وعناصرها فمحدّدة بزمان ومكان معينين،

بينما الشجرة تتجاوز الزمان والمكان المحدّدين.

فالمثل يشبّه نور الله تعالى بمشكاة ذات أجزاء، وحيثما تكون الأجزاء أشباهاً لأمثالها من الشخوص فيتوجب أن يكون هؤلاء الشخوص في زمان واحد أو دور واحد ليتحقّق التشبيه»؛ لأنّه لا يمكن تشبيه شيء بآخر ولهذا الآخر أجزاء مفككة متناثرة في المكان أو متباعدة في الزمان.

ويشير المفكّر الراحل إلى أنه لذلك تضمّنت الشجرة خصائص بعدد الأجزاء (والكلمات) كما لو كانت الغاية «إيصال الزيت إلى المكوّنات التي يجب أن تكون متلاحمة زماناً ومكاناً».

١. صفة المشكاة (فيها مصباح).

٢. صفة المصباح (في زجاجة).

٣. صفة الزجاجة (كأنّها كوكب درّي).

٤. صفة أخرى للمصباح (يوقد من شجرة).

٥. صفات الشجرة (مباركة).

٦. زيتونة.

٧. لا شرقيّة.

٨. لا غربيّة.

٩. يكاد زيتها يضيء.

١٠. زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

١١. نور.

١٢. على نور.

ويرتبط هذا الرقم (١٢) بالقمر المنير؛ لأنّ القمر يتقلّب في مداره بهذا العدد كما تعود الأرض إلى نفس النقطة عند اكتمال دورة واحدة لها حول مركز الإضاءة (الشمس).

شمس الكلمة

وتذهب النظريّة النيليّة إلى أن المراد من بعض الآيات التي تتحدث عن جعل الله عز وجل الشمس سراجاً هو «شمس الكلمة» أي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد عرّفها بنفسها قبل الجعل.

فقال: (شمس).

«ولأنّها الكلمة الأكبر فقد أفرد صيغة الفعل (وجعل)، ونسب الفعل إلى فعل الواحد بما يليق والموصوف».

المشكاة

تتمحور آية النور حول المشكاة، أمّا سائر المفردات الأخرى فهي توصيفات للمشكاة وأجزائها ووقودها، والمشكاة عبارة عن جسم صلب جداً، وظيفته حماية ما في داخله، وفي الآية «المصباح» الذي يستمدّ

وقوده من الشجرة، فثمّة علاقة تكامليّة بين المصباح والمشكاة ولا تحصل الإضاءة إلاّ بهما معاً.

«ولما كانت الشجرة مثلاً للكلمة الطيبة، والكلمة هي أحد الشخوص فقد ظهر التلاحم بين الأمرين؛ أي أن الكلمة تنتج شجرة والشجرة مجموعة كلمات تظهر تباعاً».

والمصباح هو الجزء الوحيد الذي يتبدّل في أية مشكاة أمّا الشجرة فهي ثابتة:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، فيما الكلمة الخبيثة محكومة بالفناء ﴿كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِن قَرَارٍ﴾.

وهنا يبرز إشكال: كيف تؤتي الشجرة أُكُلها كلّ حين وهي محرّمة؟! - عندما تؤتي الشجرة أكلها فعلى المرء أن يأخذ منها، لكن لا يجوز الأخذ منها من دون إيتاء.

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

وهذا النظام التكويني شاهد على الحقيقة؛ فالأشجار المثمرة لها قانونها، وعليك أن تحترم هذا القانون لتحصل على ثمارها، فهل بإمكان المرء أن يحصل على تفاحة من دون رعاية لشجرة التفاح وترقّب الزهر والثمر ونضوج الثمر؟!

وهنا (تكمن المفارقة التي سيدركها الناس يوم القيامة بحسرة بالغة؛ إذ أنهم سيجدون أنفسهم وقد قاموا بخدمة شجرة النبات خاضعين لقانونها مذلولين بالسنن يبتكرون شتى الوسائل لإرضائها لتدرّ عليهم الربح الآني الـذي لا قيمـة لـه في الواقـع، بينما في الجانـب المماثل من التشـريع فقد أعرضوا عن شجرة الله، ورفضوا الانصياع لها والرضوخ لقانونها).

مع ملاحظة الفرق الهائل بين شجرة النبات والشجرة المباركة.

«إنّ الشـجرة المباركـة لا فنـاء لهـا؛ لأنّ الزيـت مضيء قبـل الاتقاد، فهو منبعـث مـن الـذات الإلهية، وهو باق بعـد السـماوات والأرض، فالتكوين إنّمـا خلـق كنمـوذج مصغـر لأجـل هـذه الشـجرة لا غيـر؛ أي لأجـل إدراك طبيعتها».

ويكمن وراء هذه القصّة كلّها سـبب فلسـفي عميق جدّاً ولكنّه بسيط في نفس الوقت.

«ذلك أنّ [معرفة الله] شـيء متعذّر ومحال، والمقصود بهذه العبارة هو إدراك أنه سبحانه أكبر من أن يعرف».

إنّ كلّ الأشـياء يمكن أن تكون موضوعاً للمعرفة إلا هو، ولقد أخطأ كلّ الذيـن جعلـوه موضوعاً للبحـث؛ لأنّه إذا عُرف فلن يبقـى إذًا أيّ فرق بينه وبين الأشياء.

ولكـن كيف يمكـن أن تحصل معرفةٌ إذًا لـدى الخلق؛ أي بالعجز عن معرفته؟



لقد خلق الله عز وجل هذه الكلمات، وجعل لهم نوراً مستمدّاً من نوره، فتوهم الناس أنّهم يعرفونهم حقّ المعرفة، بينما هم عاجزون عن ذلك؛ لأنّهم مثل مضروب لنور الله.

ولقد سجد الملائكة بأمر الله لآدم؛ لأنّه يضم بين جوانحه شعاعاً من نور الله عز وجل.

«أمّا الكلمات فهي نور محض فهي كلمات الشجرة».

ولما ذاق آدم وزوجه من هذه الشجرة تمّ طردهما من الجنّة، ولكنّهما تابا وشعرا بالندم، ولذا بات عليهما أن يتوسّلا بالكلمات ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

لأن هذه الشجرة هي التي تمنح وتعطي من تشاء وبحسب قانونها.

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

ولذا؛ فإن الذين أرادوا من النبي ﷺ أن يفعل ما يحلوا لهم، كانوا يريدون الأكل من الشجرة.

والتعامل مع رسول الله ﷺ الذي هو الشجرة المباركة أمر يتعلّق بالقلب ونواياه.

ونحن نلاحظ زخماً واسعاً من الآيات الكريمة يتّجه إلى ترسيخ أمر الطاعة للنبي ﷺ؛ إذ لا يمكن تحقيق طاعة الله من دون طاعة الرسول ﷺ:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾[1].

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[2].

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[3].

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[5].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾[6].

وهـذه الآيـات الكريمة لا توجّه خطابها إلى المشـركين في مكّة، ولا إلى القبائـل العربيّـة قبـل فتح مكّـة، إنّما هي موجّهـة إلى المجتمـع المدني، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعاني الكثير من طريقة تعامل الجماعة المسلمة، ومن محاولات الضغط التي كان يمارسها بعض (المسلمين).

ولهذا جاء النهي الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله من طاعة الكافرين والمنافقين.

---

١. المائدة: ٩٢.

٢. النساء: ٨٠.

٣. النور: ٥٤.

٤. آل عمران: ١٣٢.

٥. الأنفال: ٢٠.

٦. النساء: ٦٤.

﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[1].

﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ﴾[2].

﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[3].

وإذًا؛ فهناك محاولات للمشاركة في (الأمر):

﴿يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ﴾[4].

وقد أثبتت النظريّة النيليّة بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّ القول غير الكلام:

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾[5].

فثمّة من يسعى جاهداً إلى الاستحواذ على الأمر وانتزاعه من أولي الأمر، يتظاهرون بالمشورة، ولكنّهم يخفون نواياهم الحقيقيّة و(يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك)، غير أنّ الاختبارات الإلهية تتوالى عليهم لتمحيصهم والكشف عن نواياهم وما أسرّوه من القول.

---

١. الأحزاب: ٤٨.

٢. القلم: ١٠.

٣. الكهف: ٢٨.

٤. آل عمران: ١٥٤.

٥. الرعد: ١٠.

قال تعالى:

﴿الم ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1].

ولقد بدأ الامتحان والاختبار المصيري بعد انتقال النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى[2].

وعمليّة التمحيص تفرز في النهاية الكفار والمنافقين، ومجموعة من المؤمنين الذين التبست عليهم الأمور، ومجموعة خالصة الإيمان وعادة ما تكون الأقليّة.

إنّ القاعدة الأساسيّة هي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾.

«وإذا كان الأمر كلّه لله فإن تنزّل الأوامر إنّما يحدث بقانون؛ أي أن التنزّل نفسه هو أمر من الأوامر».

إنّ الله عز وجل أنزل الشريعة على رسوله صلى الله عليه وآله، واصطفى أئمّة من آل الرسول تفهم روح الشريعة في تنفيذها وتطبيقها في واقع الحياة، وهذه المسألة جزء من قانون التشريع نفسه؛ إذ لا يمكن أن يحكم بالقانون كلّ من هبّ ودبّ، وإنّما هو من اختصاص من أُسندت إليه هذه المهمّة؛ لأنّه لو حكّم كلّ شخص بقانون الشريعة فسوف يحدث اختلاف بين

---

١. العنكبوت: الآيات ١ - ٣.

٢. انظر التفاسير: فرات الكوفي ٣١٧/١؛ البرهان ٣٠٣/٤؛ تأويل الآيات الظاهرة ٤٢٠/١؛ الصافي ١١٠/٤؛ نور الثقلين ١٤٧/٤؛ الميزان ١١١/١٦؛ شواهد التنزيل ٥٦٥/١ و...

الأشخاص في فهمه، وحينئذٍ تنتفي ضرورة بقائه.

«فلا يستطيع أحد أن يحكم بالقانون ما لم يكن القانون نفسه قد أعطاه تلك الصلاحيّات».

«لذلك ليس أولوا الأمر هم كلّ من تولّى الأمر، فثمّة فرق بين قول صاحب الثوب وهو شخص قام باستلاب ثوب زيد، وبين قول المالك الأصلي الذي هو زيد».

إنّ الأوامر عبارة عن كلام، أما المنفّذون لها فهم كلمات، وأوّل الكلمات وأعظمها عند الله هو النبي صلى الله عليه وآله، فهو كلمة الله العليا، والكلمات يجب أن تكون مستمرّة؛ لأن في انقطاعها انتفاء ضرورة وجود الكلام.

ومن هنا فإن قوله تعالى:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1].

يعني وجود مجموعة كلمات مستمرّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

«وأية محاولة للإبقاء على الكلام من غير الكلمات هي محاولة يراد بها فهم الكلام حسب مقتضيات المصلحة الآنية للفاعل».

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾[2].

وفي ضوء ذلك نفهم حديث الثقلين المشهور والمتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله:

---

١. النساء: ٥٩.

٢. النساء: ٨٣.

«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

وقوله ﷺ في حقّ الوصيّ عليه السلام:

«عليّ مع القرآن والقرآن مع علي».

وأيضاً؛ يمكن أن نفهم الآية الكريمة حول كتاب الله وكلامه: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

فآل البيت الأطهار هم الكلمات بعد الرسول ﷺ، التي تنفّذ كلام الله وتفسّره ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾[1].

ولقد أشرنا فيما مضى إلى قوله تعالى في وصف السيّدة مريم عليها السلام: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[2].

ولقد كان السيّد المسيح بن مريم رسول الله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾.

المصباح والزجاجة

يوضع المصباح في الزجاجة لحمايته، ووقع الاختيار على الزجاج لاختراق الضوء.

---

١. الأنفال: ٧.

٢. التحريم: ١٢.



والزجاجة تتمّ حمايتها بالمشكاة، فهي تقع بين المصباح والمشكاة، فالذين يسعون لتهشيم وتحطيم المصباح يواجهون الزجاجة، فهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾[1]، وللكلمات بطبيعة الحال نشاط كلامي في التبليغ لدين الله؛ ولذا فهم يواجهون نشاطاً كلاميّاً مضادّاً لإطفاء نور الله، والنشاط الكلامي يصدر من الأفواه.

ولا تعني الحماية للمصباح منع الذين يريدون إطفاء النور الإلهي، وإنّما فضح هؤلاء والكشف عنهم:

«هنا تكمن أهميّة الزجاجة؛ إذ لا يمكن الوصول إلى نزع المصباح من موضعه إلّا بتحطيم الزجاجة، ومعلوم أن تحطيم الزجاجة عمل مثير للانتباه أكثر من أيّ شيء آخر؛ لأن صوت تكسّر الزجاج هو أكثر الأصوات احتكاكاً بشغاف القلب، وأكثرها مجلبة للانتباه».

لقد وصف النبي صلى الله عليه وآله المرأة بالقارورة: «رفقاً بالقواريـر»، وقد ألهم هذا التشبيه الشعراء العرب في نظم قصائدهم حول المرأة .

وإذا كانت إحدى الكلمات امرأة، فلن نجد مرشحاً لها سوى بضعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين.

ومن يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وآله يجد هالة تسطع نوراً من الأحاديث النبويّة في تمجيد ابنته وبضعته.

---

١. الصف: ٨.

خصائص الشجرة

مباركة

إنّ الشجرة المباركة ترتبط بالبيت، ونلاحظ ذلك في الآية الكريمة التي تلي آية النور مباشرة:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[1].

ثمّ تأتي الآية ٣٧ من السورة لتحرج الكثير من المفسّرين: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلوةِ وَإِيتَاءِ الزَّكوةِ﴾.

يقول النيلي:

«وفي هذه النقطة يتهاوى الاعتباط في تفسيره؛ إذ يزعم أن (المشكاة) قلب المؤمن.

لأنّنا إذا افترضنا أنّ القلوب تتواجد في البيوت على نحو غريب من المجاز الذي أبطلناه سابقاً، فسيعود مرّة أخرى لفظ (رجال) ليلغي هذا المجاز؛ بل سوف يلغي المثل برمّته؛ لأنّنا بإزاء أحد حلّين لا ثالث لهما:

إمّا رجال هم من الطهارة بحيث لا فرق بين قلوبهم وأبدانهم فيها، و إما قلوب طاهرة فقط، فيتوجب إبقاء الرمز إلى النهاية وعدم تخريبه بلفظ (رجال).

ولقد اصطفى الله عز وجل آل إبراهيم ليكونوا أهل البيت ﴿رَحْمَةُ

---

١. النور: ٣٦.



اللهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[1]، والنبي صلى الله عليه وآله من ذريّة إبراهيم، وآله أهل البيت عليهم السلام الذين نزل بحقّهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

ولقد جاءت الآية الكريمة في سياق آيات تتحدّث عن نساء النبي صلى الله عليه وآله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.

يقول النيلي: «فقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ إنّما هو لإخراج أفراد يدخلون هذه المجموعة بحسب العرف العام، فيخشى على أهل البيت ضياع حقيقتهم لوجود هؤلاء الأفراد فيهم.

إنّ لفظ (عن) مع لفظ الفعل (يذهب) لا يفيد إلاّ استبعاد الأشياء الطارئة فقط، ألا تراه (القرآن الكريم) إذا كان الشيء مرتبطاً بالآخر ارتباطاً جوهريّاً لم يأت بلفظ (عن) كما في قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾[2].

فلم يقل ويذهب (عنهم) غيظ قلوبهم؛ لأن هذا الغيظ من طبيعتهم، وجزء من تكوينهم بالرغم من أنّه يؤذيهم ويؤلمهم؛ بينما الشيطان طارئ على المؤمنين فقال: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[3]».

ولهذا؛ فإن سياق الآيات تسوده نون النسوة حتّى انتقل الحديث عن أهل البيت، جاء ضمير المذكر السالم، وذلك للمحافظة على هويّة

---

١. هود: ٧٣.

٢. التوبة: ١٥.

٣. الأنفال: ١١.

أهـل البيـت الأطهار عليهم السلام: «وثمّة ارتباط واضح بين لفـظ المبارك والكلام؛ كلمات الله عز وجل وهم بعض الرسل الذين يؤلّفون الشجرة:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلوةِ﴾[1].

والقائل هنا هو كلمة من كلمات الله هي المسيح عليه السلام.

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾[2].

والمبارك عليه هنا إبراهيم عليه السلام المبتلى بالكلمات.

﴿اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ﴾[3].

هذه البركات على نوح.

إنّ كلمـات الشـجرة متتابعـة ومتلاحقة؛ لأنّهـا ذريّة، ومعلـوم أنّ الذريّة المتّصلة تؤلف شـجرة، فالمذكورون هنا (المباركون) جمعوا في آية أخرى باعتبارهـم أصفياء انتخبوا مـن المجموعة بقدرتهم على تجاوز المعصية فاصطفاهم الله لهذا الاختبار:

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

---

١. مريم: ٣١.

٢. الصافّات: ١١٣.

٣. هود: ٤٨.

٤. آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

ويدرك النيلي أنّ القارئ سوف تثيره الآية (٤٨) من سورة هود حول الأمم التي بوركت مع نوح فيقول:

«أمّا الأمم التي بوركت في الآية مع نوح عليه السلام فلا تحسب أنها شعوب كاملة لما تفهمه من مفردة أمم؛ لأن الكلمة الواحدة هي لوحدها أمة، وإبراهيم عليه السلام كان أمة:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً﴾[1].

فالأمم المباركة هي لمن تبع هذه الكلمات، فهم أمة دون سواها من الأمم.

زيتونة

ورد اسم الزيتون كاسم ست مرّات، وهذا العدد يرتبط بعدد مكوّنات المشكاة أو أيّام الله وعدد السماوات.

ويعترف النيلي بالغموض الذي يكتنف دلالات هذه المفردة في آية النور، إلاّ أنه يدعو إلى التأمّل ولو قليلاً بموارد الزيتون الذي ورد معرفاً بعد ذكر الأعناب نكرة:

﴿وَجَنَّاتٍ مِن أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[2]

والزيتون يختلف عن النباتات المذكورة هنا (الأعناب والرمّان) بثلاث

١. النحل: ١٢٠.

٢. الأنعام: ٩٩.



خصائص هامّة:

الأولى: أنه دائم الخضرة؛ بخلاف أشجار الأعناب والرمّان التي تتجرّد من الأوراق في الخريف والشتاء وتعود إليها خضرتها في الربيع.

إنّ هذه الصفة هامّة جدّاً، فالزيتون لا يتأثّر بالفصول والأزمنة، ومن هنا ندرك شيئاً عن قوله تعالى: ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾.

الثانية: أنه منفرد؛ بخلاف الرمّان الذي تحيط به فسائله الكثيرة جدّاً حتّى لا يمكن للزارع نفسه التمييز بين الشجرة الأصل وما يستوي من شطأها الخارج معها.

فمثل هذه الصورة نجدها في سورة الفتح عن النبي ﷺ والذين معه؛ لأن هذا الوصف يراد به إبراز المجموعة المؤمنة كلّها بوجه الكفّار:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[1].

أمّا الزيتون فإنك لو رأيت فسائله لوجدتها صغيرة ضئيلة نسبة إلى الشجرة الباسقة ومهما تركتها فلن تكبر ولن تستوي على سوقها.

وهذا الوصف إنّما يخصّ الشجرة المباركة والتي لن يبلغ التابع لها

١. الفتح: ٢٩.

من الفضل؛ ناهيك عمّن هو ليس منها ولا هي منه».

ويتمتّع الزيتون بالثبات؛ حيث تبدو أوراقه وكأنّها محسوبة، فهي لا تزداد إلاّ ببطء شديد وفي وضع متناسق يدفع بالمرء إلى تركها وعدم التدخّل في شؤونها.

«وهذه صفة تذكّرنا بصفة الشجرة المباركة القائمة بنفسها والثابتة في امتدادها».

وثمّة صفة ثالثة يختلف فيها الزيتون عن النباتات وهي ثماره؛ ذلك أنّ ثمار الزيتون وكما هو معروف مُرّة الطعم وتزداد مرارتها كلّما نضجت أكثر ونعرف أنّ ثمار الأشجار بالعكس، فهي تبدأ مُرّة أو حامضة الطعم، ثمّ تزداد حلاوتها مع ازدياد نضجها.

في حين أنّ الزيتون كلّما نضج أكثر ازدادت مرارته حتّى يكون الأكثر نضجاً هو الأكثر مرارة.

«وهذه صفة أخرى تذكّرنا بحرمة الشجرة، وهي حرمة مستديمة، فهي لا تصلح للأكل، ومن أكل منها ذاق وبال أمره، وتحشرجت المرارة في حلقه؛ لأنّها شجرة مخصّصة لإنتاج الزيت الذي يضيء المصباح، فهي للاستنارة لا للأكل».

«من هنا ندرك العلاقة بين الزيتونة في آية المشكاة والشجرة التي حرم أكلها على آدم وذريّته؛ لأنّ الكثير من خصائص الزيتون (الشجر المعهود) يطابق خصائص تلك الزيتونة، والتي هي شجرة غير ماديّة.



لا شرقيّة ولا غربيّة

ذهبت معظم التفاسير إلى أن معنى لا شرقيّة ولا غربيّة أي لا يهوديّة ولا نصرانيّة؛ بل صرّح أحدها بأنّ المقصود «فهي شرقيّة وغربيّة»[1]!! فيما القرآن الكريم يصرّح أنّها «لا شرقيّة ولا غربيّة» وإن ساق رواية عن الحسن: تأويل لا شرقيّة ولا غربيّة أنها ليست من شجر الدنيا؛ أي من شجر الجنّة، ولو كانت من الدنيا لكانت شرقيّة أو غربيّة.

يقول النيلي رحمه الله:

«علينا أن نبقي الألفاظ كما هي فالشرقي والغربي جهات والمراد الأوّل هو نفي الجهات عن الشجرة، وإبعادها عن أي تصوّر مادي محدّد.

فإذا انتفت الجهات لم تكن الشجرة في هذه الحالة إلاّ كونها إلهيّة أو ربّانيّة؛ إذ المفروض أنّها هي التي تعطي للجهات أسماءها ما دامت مثلاً لنور السماوات والأرض ونور الله، فالسموات والأرض هي موضوع الجهات، وعليه؛ فهي خارج هذا التحديد»[2].

«إذًا؛ فالشجرة ليست ماديّة، ولا حتّى سماويّة بالمعنى الكوني؛ بل

---

١. انظر كشف الأسرار وعدّة الأبرار، ج٦، ص٥٣٤.

٢. جاء في بعض الأحاديث أنّ «لا شرقيّة ولا غربيّة» إنّما هي إشارة إلى صفة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.
انظر: بحار الأنوار ج٥ ص٢٢١ - ٢٢٢ رواية سعيد بن جبير الشهيد، وكذلك المصدر نفسه ج٦٠ ص١٢٠.
رواية الشهيد سعيد بن جبير أيضاً في تفسير قوله تعالى: «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً».

نورانيّة لا تصدق عليها صفات وخصائص المادّة».

«إذًا؛ فالشجرة التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هي أكثر الأشياء إضاءة في الوجود؛ لأن كلّ إضاءة صادرة عن الشموس الكونيّة مثلاً لابدّ أن تحدث بسبب وجود نار.

إذًا؛ فالشجرة لا ظلّ لها.

إن هذا يذكرنا بمعجزة غريبة عن إحدى كلمات الشجرة، فقد اتّفق الذين رافقوا النبي ﷺ أنّهم لم يلاحظوا له ظلاً، وكانت تلك الصفة تدعو إلى العجب، وبالنسبة للأعداء فقد فسّروا الأمر على أنه نوع من السحر».

مع أنهم يعلمون جيداً أنّ إلغاء مثل هذا القانون الفيزيائي أمر خارج عن قدرات أكبر السحرة؛ لأنّ السحر يقوم بخرق ظاهري للقانون الفيزيائي عن طريق بعض الخدع البصرية في وقت محدّد ومكان محدّد وبأدوات محدّدة.

وللزيت في هذه الشجرة المباركة خاصيّة؛ إذ يكاد يضيء ولو لم تمسسه - النار، التي هي مركز التشبيه في مَثَلِ المشكاة، وهنا يحاول النيلي البحث عن «العبارات الملائمة والواضحة لشرح هذا الأمر».

وقد سبق أن قال أنّ الضوء مصدر، والنور انعكاس للضوء، وهذا أمر واضح لغوياً.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾[1].

وأنّ الإضاءة تحتاج إلى نار:

﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾[2].

«إذا فهمنا أي واحدة من الاثنين فهمنا الأخرى، ونقصد بهذا الفهم بالطبع الفهم الجزئي لهذه الحقيقة؛ لأنّنا قلنا إنّ الفهم التام للنص هو في اللانهاية، فالمهم هو أن نضع أيدينا على أوّل الخط، وليس إدراك غايته، فلو أُدرك النص بصورة مطلقة لما بقي فرق بين المتكلّم والمتلقي».

لذلك أصبحت هذه العبارة في آية المشكاة هي مركز التمثيل، وسوف ندرك أيضاً أن نقطة هذا المركز هو لفظ (يكاد).

لأنّه لو قال (يضيء) من غير (يكاد)، لكان الزيت يضيء فعلاً من غير أن تمسّه النار، وإذًا فطاقته ذاتيّة بصفة مطلقة، وعندها فلن يكون هو زيتاً إلهيّاً؛ بل سيكون إلهاً آخر؛ إذ ليس من شيء في الوجود طاقته ذاتيّة بصفة مطلقة، لذلك لم يقل يضيء؛ بل: (يكاد يضيء).

إذًا؛ فالزيت ليس مضيئاً بغير نار، ولكنّه منير قبل أن تمسسه النار، وهو لشدّة الإنارة (يكاد يضيء)؛ حيث يخيّل للمرء أن نوره ذاتي محض».

فمن أين جاءه النور؟ لأنّ النور انعكاس للضوء، فما هو مصدر الضوء الذي يعكسه الزيت؟

١. يونس: ٥.

٢. البقرة: ١٧.



يقول النيلي:

«إنه يعكس (نور الله) الذاتي بصفة مطلقة، ولكن لا يمكن تسميته ضوءا؛ لأنّ الضوء من خصائص الأجسام، ويحتاج إلى نار، فكأن كلّ انعكاس في الوجود هو بين مصدر ضوء وآخر يعكس الضوء على شكل نار باستثناء الانعكاس الأوّل؛ حيث هو نور منعكس من نور، فلشدّة هذا النور يبدو وكأنّه مضيء بذاته، وهو انعكاس نور الله من زيت الشجرة على صورة نور» فهل يحتاج الزيت إلى نار؟

بالطبع يحتاج إلى نار من أجل أن يضيء، ولكن الإضاءة هذه المرّة ليست نفسها في (يكاد يضيء) الأولى، فالإضاءة الجديدة من الوجود وللوجود، فهو يحتاج للنار لحاجة الوجود للضوء».

«إذًا؛ على الوجود أن يجعل النار تمسّ الزيت لأجل أن يضيء، فما هو سبب احتياج الوجود إلى الضوء - أوَليس النور كافياً؟

إنّ الوجود مادي الصورة والطبيعة، والنور شيء غير مادي، ولن ينتفع شيء من الموجودات من النور إلاّ إذا تجلّى تماماً عن ماديّته ولو بصورة نفسيّة فقط، ومثل هؤلاء هم قلّة إلى أبعد حدّ، فالسواد الأعظم - من الناس مثلاً - يحتاجون إلى ضوء ساطع دوماً؛ ليمكنهم معرفة ما يحيط بهم، وهذا الأمر يجعل لهم نوراً؛ (لأنّ النور ليس ماديّاً)، إنه انعكاس للضوء؛ فإذا انعكست تلك المعارف من داخلهم إلى الخارج كان ذلك هو النور المتكوّن عندهم من الضوء، فلاحظ الآن الآية الكريمة:

﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّه بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[1].

اعتقد المفسّرون وأهل اللغة: أن (المستوقِد) و(الذين ذهب الله بنورهم) واحد، ولكنّه (التعبير) انتقل من المفرد إلى الجمع؛ لانتهاء التشبيه، فتحول إلى المجموع؛ لأنّ الغاية من المثل ليس بواحد بل للمجموع».

ويعتقد النيلي رحمه الله أنّ هذا الكلام هراء؛ لأن التشبيه يستمر إلى نهاية الآية؛ بل والآية التي تليها:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾[2].

إنّ المستوقِد شخص واحد، والذين ذهب الله بنورهم جماعة التفّت حوله واتبعته.

إنّ المستوقِد شخص يوقد ناراً لتضيء؛ لأنّه يريد من الناس أن يتّبعوه، ولا يتّبعون نور الله.

إنه يريد أن يصبح إلهاً صغيراً في الأرض.

«من هو المستوقِد؟! إنه الذي يريد الاستيلاء على المُلك ليكون بديلاً للشجرة، أليست هي شجرة المُلك الذي لا يبلى؟».

---

١. البقرة: ١٧.

٢. البقرة: ١٨.

فكيف يمكنه الاستيلاء على ملك الشجرة ما لم يأت ببديل لنورها؛ بنور يخترعه من الوجود اختراعاً؟».

إنه الطاغوت من يفعل ذلك، إنه يحاول جرّ الناس إلى اتباعه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.

فالطاغوت كلمة الذين كفروا، وقائدهم مثلما الشجرة كلمات الله وقادة الذين آمنوا.

والطاغوت إذ يحاول اختراع نور آخر للناس، فإنما يدخلهم في الحقيقة إلى الظلمات. إذًا؛ فقول المفسّرين ذهب الله (بنورهم) أي (بأبصارهم) هو تعسّف لا يخالف النظام القرآني كلّه؛ بل يخالف النص نفسه الذي لم يكتف بوصفهم هذا حتّى قال (لا يبصرون)، ولم يكتف بعُمْي حتى قال صمّ بكم لا يرجعون».

إنّ نورهم هو انعكاس معرفة الأشياء بالفطرة، - وعندما تجمّعوا حول نار المستوقد، أطفأ نورهم؛ لانحراف النوايا وتدنّس القلوب، وضاع التمييز بين النار والنور والضوء.

«فالرؤيا المعرفيّة شيء، والرؤيا البصريّة شيء آخر، وحينما تركوا الرؤيا المعرفيّة من أجل البصريّة، فقد أذهبوا نورهم بقرار من أنفسهم لا غير».

لكن نسبة ذلك إلى الله سبحانه جاء من أنّه تبارك وتعالى شحن الوجود بهذا القانون.

«فالوجود مشحون بنور الله، وهناك جزء منه في كلّ نفس أيضاً؛

باعتبارها جزءا من هذا الوجود، والارتباط بالطاغوت يفصل النفس عن الوجود».

والطاغوت يجنح إلى الاستقلال عن نور الله، وذلك من خلال عدم سريان النور.

الشيء المخصّص في تصميم الوجود للإضاءة هو (الزيت)، وعندما يقوم الطاغوت بتجنّب الزيت، فإنه يعمد إلى إحراق أشياء غير مخصّصة للحرق، فهو يستخدم الإفناء لأجل - الإحياء، وعمله تخريب وعبث.

«وهذا ما نلاحظه عند متابعة لفظ (النار)، فالنار ليست ضروريّة للشجرة، إنّما انبثقت هذه الضرورة من طبيعة الوجود، ومعنى ذلك أنّ تأجّج النار، إذ يجعل أتباع المستوقد في ظلمات، فهو يفعل فعلاً معاكساً مع زيت الشجرة؛ إذ تتضاعف الأنوار لمجرّد حصول مسّ من النار للزيت، فأتباع المستوقد يبقون في ظلمات، بينما أتباع الشجرة سيحصل لهم المزيد من الاتّضاح والرؤية.

ويثير النيلي تساؤله حول النار: «ما معنى النار هنا؟»، فهي كظاهرة طبيعيّة تحدث نتيجةً لصراع قوى متضادّة.

ويشير إلى علاقة ما بين الشجر والنار في سورة يس:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[1].

١. يس: ٨٠.



ويكشف نص قرآني عن وجود شجرة خاصّة للنار:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝٧١ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾[١].

كما أنّ الفعل (شجر) ينطوي على مفهوم التفرّق المتتابع والتفرّع المستمر.

«والذي يحدث في المثلين، أنّ النار إذا مسّت الزيت ازداد إضاءة، بينما تصاعد النار لا ينفع شيئاً لاتباع المستوقد؛ لأنّهم فقدوا نورهم، فالدالّة [دالّة معرفة الأشياء] لكلّ منهما بعكس الأخرى بالرغم من أن ظاهرة تأجّج النار واحدة».

ولقد ربط القرآن الكريم بين الفتنة والحرب؛ باعتبار الأخيرة آخر أدوار الفتنة؛ وذلك أن النار تعبير عن صراع بين المتضادّات سواء في الطبيعة أو الفكر.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٢].

وتختلف عبارة (على النار) عن التعبيرات القرآنيّة الأخرى التي تؤرّخ عذاب المجرمين؛ إذ هم في تلك العبارات (في النار)، وليسوا على النار.

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ﴾[٣].

---

١. الواقعة: ٧١ - ٧٢.

٢. الذاريات: ١٣ - ١٤.

٣. المائدة: ٦٤.



ولا يعني هنا نار الحرب؛ بل ناراً للحرب؛ حيث الغاية من ذلك إشعال الحرب، فالنار هنا هي الفتنة التي تؤدّي إلى اشتعال الحرب.

وإذًا؛ فان هدف الذي يستوقد ناراً هو حرق الاتباع في تلك المحرقة، وأن الضوء الصادر عنها يشبه ضوء مصيدة الحشرات.

وهذه هي طبيعة الطاغوت؛ إنه يعيش من أجل تأجيج الفتن، والحكم لديه وسيلة لا غاية، ومن هنا نشاهد في تاريخ الطغاة جنوحاً إلى إشعال الحروب.

«أمّا نور الشجرة فهو نور سلمي لا يدعو إلى الصراع؛ بل يحاول إطفاء النار»..

لأنّه لا ضرورة للنار مع وجود إضاءة بغيرها، ومن هنا نلاحظ حركة الإسلام وسعيه إلى السلام؛ بل إنّ معنى الإسلام هو السلام، وهو من أسماء الله تبارك وتعالى.

﴿قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1].

﴿وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

ومن هنا نلاحظ هذا التأكيد على السلام والتشديد على السلم مقابل الحرب:

١. المائدة: ١٥ - ١٦.

٢. يونس: ٢٥.

﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[2].

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[3].

بل وأصبح السلام تحيّة الذين آمنوا من أجل إشاعة حالة السلام في المجتمع البشري.

ويثير النيلي هذا التساؤل الكبير:

ما هي الطريقة للدخول إلى السلام؟ وكيف يمكن تجنّب الفتنة؟ وتكمن الإجابة في الاستضاءة بنور الله، والإعراض عن أيّة نار يشعلها المستوقد.

«ومن هنا تظهر العلاقة بين السلام ونور المشكاة وكلماتها، فتلك الكلمات هي من سنخ كلمات الشجرة، ولدينا قائمة طويلة بالسلام الإلهي على كلمات سابقة من نفس الشجرة:

﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[4].

---

١. النساء: ٩٠.

٢. البقرة: ٢٠٨.

٣. الأنفال: ٦١.

٤. سورة الصافات: ٧٩.

﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾[2].

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[3].

﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[4].

﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[5].

الطغيان

تفتقد المكتبة العربيّة إلى دراسات عميقة في هذا الموضوع، ولعلّ هذا يعود إلى أن المنكر يعيش في ظلال حكومات مستبدّة وزعماء طغاة.

لقد حكم صدّام العراق بالحديد والنار، وجوّع شعبه إلى حدّ انهيار القيم الأخلاقيّة، وكان مغرماً ببناء القصور و إشعال الحروب، وفي قباب أحد قصوره نقشت أسماء تمجّده تبلغ المئة مضاهاة لله في أسمائه الحسنى، فهو المهيب الركن بطل التحرير القومي والقائد الضرورة...

وما إن وجد فرصة لإشعال الحرب حتّى مزّق بيديه اتفاقية السلام مع

١. النمل: ٥٩.

٢. مريم: ٣٣.

٣. الصافات: ١٨١.

٤. الصافات: ١٢٠.

٥. الصافات: ١٣٠.



جارته إيران، وأحرق شعب العراق وخيراته في نيران ثلاثة حروب مدمّرة.

وكان صدّام في كثير من خطاباته يمنّ على الشعب الذي شبع في عهده من التمر والطماطم!

ثمّة نزوع في نفس الإنسان الذي يتّبع خطوات الشيطان إلى أن يكون إلهاً، ويعمل على أن يكون الشعب قطيعاً من الأغنام المطيعة والكلاب المتملّقة.

يقول الكواكبي: «إنه ما من مستبد سياسي إلاّ ويتّخذ لنفسه صفة قدسيّة يشارك بها الله». لقد أعلن فرعون أنه إله مصر الأعلى «أنا ربّكم الأعلى»، وعبّر كثيرون من الحكّام العرب عن ذلك سلوكيّاً. إنّ الذاكرة ما تزال تحتفظ بمشاهد من خطابات القذافي وصدّام التكريتي.

يقول المفكّر الراحل عالم سبيط النيلي رحمه الله بهذا الصدد:

«وقد لا يميز الطاغوت بصورة جيّدة أنّ الظروف الموضوعيّة تخلق حالات مختلفة تماماً؛ فالذي يبدو لك رجلاً حكيماً متوازناً ربما يكون من أشرس الطغاة فيما لو توافرت له الظروف الموضوعيّة التي تظهر هذا الطغيان.

ويكفي في الطغيان أن يقوم المرء بتعليم الناس أفكاره الخاصّة، وحملهم على - الإيمان[1] بها، والدعوة لها مقابل الله تعالى، وليس من

١. كانت سلطة البعث في العراق تقوم بإجبار الناس على الانتماء إلى حزب البعث، ولا تكتفي بحضورهم في الاجتماعات الدوريّة، بل وتدفعهم إلى كتابة التقارير عن نشاط جيرانهم ومعارفهم



الضروري أن يكون الطاغوت فرداً؛ بل الأغلب والأعم أنه حركات يشترك فيها أفراد وجماعات كثيرة، ويقوم بالتنفيذ فيها أفراد ظاهرون، بينما تبقى تلك الجماعات بعيدة عن الأنظار.

إن الطاغوت ليس في الجانب السياسي وحده من جوانب الحياة، فهناك طاغوت في الفكر وفي الفلسفة وفي الأدب وفي العلم الطبيعي.

وهناك طاغوت في الدين، وهو أشرس الطواغيت وأعتاها مثلما هناك طاغوت في كلّ فنّ ونشاط عقلي لا مساس بالمعتقدات والسلوك».

ويشير النيلي إلى وجود شبكة واسعة ومحكمة من النسيج القرآني في مضمار العلاقات بين تلك الألفاظ.

إلاّ أنه يكتفي بالإشارة نموذجاً إلى آية في سورة الإسراء:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾.

وقد ذهب كثير من التفاسير إلى أن الشجرة الملعونة هم بنو أمية، فقد جاء في بعض المدوّنات والروايات أنّ النبي ﷺ رأى في عالم الرؤيا قردة تنزو وتتقافز على منبره، وشعر النبي ﷺ بالحزن واعتصر قلبه الألم.

وتذكر بعض الروايات أنّ الآيات من سورة العنكبوت:

﴿الم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا

وأقاربهم، وقد تتضمّن التقارير اتّهامات تؤدّي بالضحايا إلى السجن وربما - الإعدام.

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1].

إنها نزلت في مكّة ولكن بعد فتح مكّة؛ أي في حجّة الوداع أو حجّة البلاغ.

إذ في طريق العودة نزل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

وجاءت خطبة النبي صلوات الله عليه في وادي غدير خم بالإعلان الشهير:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

وقد ساورت النبي صلى الله عليه وآله هواجس إزاء هذا البلاغ الخطير من ردّة فعل المسلمين، ولذا جاء قوله تعالى في الآية «والله يعصمك من الناس».

وحاول النبي صلى الله عليه وآله تمهيد الأمور للنجاح في هذا الامتحان العسير، فعيّن أسامة بن زيد الشاب على رأس حملة عسكريّة كبيرة وقيادة الجيش الإسلامي الذي ضمّ كبار الصحابة، واستثنى الإمام علي عليه السلام لضمان انتقال القيادة بشكل هادئ.

غير أنّ الصحابة، الذين رفضوا في داخل نفوسهم إعلان الغدير، أجبروا أسامة في النهاية على التوقّف في منطقة «الجرف»، ثمّ تسلل بعضهم ليلاً

١. العنكبوت: ١ - ٣.

بعـد أن وصلتهم معلومات أكيدة حول قرب وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ جرى بعد ذلك ما جرى، وتمّ إقصاء الإمام علي عليه السلام عن موقعه القيادي.

نور على نور

يرى النيلي أن «نور على نور» عودة لوصف المشكاة: «يدل على ذلك وجود نور سابق في الزجاجة، فلما تمّ وصف الزيت بأنه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار عاد إلى المشكاة فقال: (نور على نور)».

«بمعنـى أنّهـا كلمـة علـى أثر كلمـة وليس (كلمة مـن بدء كلمـة)؛ لأنّه لا فاصلـة بيـن الكلمات، فنـور الكلمة السـابقة يبقى مـع الكلمة اللاحقة ويضاف إليها».

«وهو بصورته أحد معاني التصديق؛ حيث صدّق المسيح عليه السلام ما بين يديه من التوراة، وكذلك جاء النبي صلى الله عليه وآله مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب».

«وهـذه الخاصيـة هـي بخـلاف خصائـص الشـجرة الخبيثـة؛ حيـث تختلـف كلماتهـا بعضها عـن بعض، وهـي، إذ يتولّى بعضهـا البعض من الناحيـة الظاهريّـة، فإنهـم في داخل نفوسـهم يلعـن بعضهم بعضـاً، ويبرأ بعضهم من بعض».

«وهـذا أمر طبيعـي مادام كلّ طاغـوت فيهم عابد لذاتـه ولهواه، فليس لهم معبود مشترك واحد كما لكلمات الشجرة الطيّبة».

والطاغـوت يكـون جماعـة داخل الجماعـة التي تعلن إيمانها بالرسـل

والأنبيـاء، وذلك من خلال الإيمان بجزء من تعاليم النبي والرسـول ورفض جزء آخر، وهذه الظاهرة تنسـحب على جميـع أتباع الديانات والملل بما في ذلك أمة الإسلام.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

«إذًا؛ فهنـاك مجموعـة خاصّـة ناجيـة مـن جميع الملل هـي مجموعة (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً)، وهي مجموعة الأفراد المتفرّقين في هذه الجماعات الكبيرة من الأمم.

يهدي الله لنوره من يشاء

﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يدعـو النيلي إلى ملاحظة العلاقة بين الهدى والصراط والنور، ففي آية ١٦ من المائدة فإن النور يوصل إلى الصراط:

﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

إلا أنّ «صـراط مسـتقيم» يختلف عـن «الصراط المسـتقيم» المعرّف بـ «ال».

---

١. البقرة: ٦٢.

إنّ «الصراط المستقيم» الذي تشير إليه سورة الحمد أو فاتحة الكتاب هو صراط شخوص أنعم الله عليهم، وهم كلمات الله «لذلك تمّ تعريف الصراط بهم لا تعريفهم بالصراط».

وقد أشار سبحانه إليهم في آيات كثيرة:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾[1].

﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم﴾[2].

ومهما بلغ من إيمان المؤمنين بالرسل، فلن يكونوا منهم، وإنّما يكونون معهم؛ لأن كلمات الله مجموعة «محددة سلفاً بالأمر الكلي مثلاً لنور الله».

ومن هنا يخاطب سيّدنا موسى عليه السلام ربّه قائلاً:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[3].

وعند ما يتوجّه الخطاب إلى بني إسرائيل، لا يأتي بهذه الصورة: (أنعمت عليكم) وإنّما:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

---

١. مريم: ٥٨.

٢. النساء: ٦٩.

٣. القصص: ١٧.

بينما يتوجّه الخطاب الإلهي إلى عيسى على هذا النحو:

﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾[1].

هنا اختفت (التي).

وإذًا؛ فإن الخطاب الإلهي للنبي:

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾[2].

«هو شيء يخصُّ كلمات الشجرة ومكوّنات المشكاة».

«فالنعمة ليست الكتاب ولا التشريع؛ بل ولا الدين كلّه كعقيدة، إنّما النعمة هي كلمات الله التي تفهم لغز هذا الكون وسرّ هذا الكتاب المبين» الذي لا يفهم سرّة ولا يمسّه إلاّ المطهّرون، ومن هنا ندرك قوله تعالى:

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[3].

فالنعمة هنا كلمة الله العليا وأوّل كلمات المشكاة.

ويجيب النيلي على هذا التساؤل:

«لماذا جعل الله سرّه ونوره في شخوص بشريّة وكائنات من أصل - الإنسان؟»

---

١. المائدة: ١١٠.

٢. الفتح: ٢.

٣. آل عمران: ١٠٣.



«إنّ الأنـا هو المـأزق الفلسـفي والميتافيزيقي في تاريخ الإنسـان، فيتم تحطيم هذه الأنا بذوات بشـريّة مذعنة للناموس الإلهي، وهي تستطيع أن تفعـل فـي الموجودات أكثـر ممّا تتكلّم وهؤلاء الذوات لا يتكلّمون بشـيء من تلقاء أنفسهم، فلا وجود للأنا لديهم».

لقد اختفى «الأنا» في ذواتهم وذاب في عبادته:

«إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي».

إنّ مشكلة الإنسان تكمن في هذه الأنا المتعالي في نفسه، وهي المأزق الفلسفي في تاريخ - الإنسان.

لقـد امتحـن الله الملائكـة، وظهـرت الأنانيّة لـدى إبليـس الذي رفض السجود قائلاً:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1].

والامتحان الإلهي مستمر.

لقد دعا سـيّدنا موسـى بن عمران فرعون إلى الإيمان بعد أن أرسـله الله إليه:

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[2].

ظهرت الأنا في جوابه:

---

١. الأعراف: ١٢.

٢. النازعات: ١٨ - ١٩.

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾[1].

وإبراهيم من قبل إذ قال للنمرود:

﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[2].

قال الطاغية:

﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[3].

غير أنّ كلمات الله هم من انتهت كلّ إشكالية الأنانيّة لديهم، فلا تجد في منطقهم سوى (هو الله أحد) فآتاهم الله سبحانه ملكه الذي لا يبلى.

وجولة سريعة جداً في التفاسير في بعض مفردات آية النور تلقي مزيداً من الضوء على معانيها الحقيقيّة.

ورد في تفسير إعراب القرآن: أنّ نوره (عز وجل) هو محمّد[4]، وأنّ المشكاة قلب نبي - الإسلام[5]، وأن انتخاب مفردة الشجرة «لتجردها عن اللواحق الجسميّة» أو لوقوعها بين الصور والمعاني.

أمّا الشجرة، فهي ليست من شجر الدنيا، وأنّ الشجرة المباركة هي

١. الزخرف: ٥٢.

٢. البقرة: ٢٥٨.

٣. البقرة: ٢٥٨.

٤. إعراب القرآن ج٣، ص٩٢؛ تفسير بحر العلوم ج٢، ص٥١٣.

٥. انظر تفسير الأمثل، تفسير آية النور.

شجرة النبوّة»[1].

«ولو كانت من شجر الدنيا لكانت شرقيّة أو غربيّة»؛ لذا فـ«هي من شجر الجنّة»، وهنا «الشجرة مثل؛ أي أنها ملّة إبراهيم»[2].

فهي شجرة «ليست كسائر الأشجار»[3].

«إنها متوسطة بين غرب عالم الأجساد، الذي هو موضع غروب النور الإلهي، وبين شرق عالم الأرواح الذي هو موضع طلوع النور» «سوّاها عدلها بين جهتي الربوبيّة والسفالة، لا في ظلمة الجسم وكثافته، ولا في ضوء الروح ولطافته»[4].

و«يجوز أن يكون الشرقيّة والشرق في القرآن رمزاً إلى المعنويّات، والغربيّة والغرب رمزاً للماديّات»[5].

وترمز الشجرة المباركة لدى بعض المفسرين إلى شجرة النبوّة[6].

وأن «لا شرقيّة؛ ليست من شرق الأزل والقدم كذات الله وصفاته. ولا غربية؛ أي ليست من غرب الفناء والعدم كعالم الأجسام؛ بل هي مخلوقة

١. أيجاز البيان، تفسير آية النور؛ جوامع الجامع، ج٣، ص٥٠٨.

٢. تفسير البحر المحيط، ج٨، ص٤٦.

٣. التحقيق في كلمات القرآن، ج١٢، ص٢٩٠.

٤. تفسير ابن عربي، ج٢، ص٥٧٥.

٥. تفسير الإمام الخميني، ج٤، ص٥١٦.

٦. تفسير شبّر، ص٣٤٢.

أبديّة لا يعتريها الفناء».

«يكاد زيتها (وهو عالم الأرواح) يضيء»[1].

إذ «يكاد محمّد يتكلّم بالحكمة قبل الوحي»، وهذا «عبدالله بن رواحة الشهيد بمؤتة، يقول:

لو لم يكن فيه آيات مبيّنة كانت بديهيته تنبيك بالخبر[2].

ويكاد العالم من آل محمّد يتكلّم بالشيء قبل أن يسأله عنه[3].

فهم «نور على نور؛ إمام بعد إمام»[4].

وجاء في الأثر عن النبي صلى الله عليه وآله: «أنا وعلي من شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتّى»، ويوقد نور المصباح شجرة إبراهيم الذي أكثرُ الأنبياء منه[5].

وهي «الشجرة الزيتونة المحمديّة التي هي لا شرقيّة ولا غربيّة»[6].

«ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا، ولو كانت في الأرض، لكانت

---

١. تفسير روح البيان، ج٦، ص١٥٦.

٢. تفسير غرائب القرآن، ج٥، ص١٩٨.

٣. تفسير فرات الكوفي، ص٢٨١.

٤. كنز الدقائق، ج٩، ص٣٠٨.

٥. تفسير مقاتل، ج٣، ص١٧١.

٦. الفرقان في تفسير القرآن، ج٨، ص٧٤.

شرقيّة أو غربيّة، وإنّما هو مثل ضربه الله سبحانه لنوره.

وقد أفصح القرآن بأنّها من شجر الدنيا؛ لأنّها بدل من الشجرة، فقال: (زيتونة)، وإنّما خصّ الزيتونة من بين سائر الشجر؛ لأن دهنها أضوأ[1].

و«يكاد نور محمّد يبين للناس ولو لم يتكلّم»[2].

وليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا[3].

هذه الشجرة التي نهى الله تبارك وتعالى آدم من الاقتراب منها، - وعندما عصى آدم ربّه، وتمّ طرده من الجنّة، وبعد ما «فتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه» إنّ معظم التفاسير تشير وتروي عن ابن عبّاس أنّ آدم توسّل بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وجاء في الأخبار عن سعيد بن جبير في توصيف النبي الذي ظهر في المدينة بأنّه: «لا شرقي ولا غربي». يقول الإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السلام: «ما ينقم الناس منّا؟! فنحن والله شجرة النبوّة وبيت الرحمة...».

ويقول الإمام علي عليه السلام: «إنّا أهل البيت شجرة النبوّة وموضع الرسالة».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «نحن شجرة النبوّة»[4].

١. الكشف والبيان، ج٧، ص١٠٥.

٢. مجمع البيان، ج٧، ص٢٢٦.

٣. الميزان، ج١٥، ص١٣٥ - ١٤٠.

٤. الكافي، ج١، ص٢٢١.

وجاء في دعاء للإمام السجّاد عليه السلام: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد شجرة النبوّة».

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه شجرة مباركة»[1].

وعن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام: «أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن طوبى؟ قال: شجرة أصلها في داري، وفرعها على أهل الجنّة. ثمّ سئل عنها مرّة أخرى؛ فقال: في دار علي، فقيل له في ذلك؟ فقال: داري ودار علي في الجنّة بمكان واحد».

واستدعى الخليفة المنصور الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ووجّه إليه اتّهامات حول سكوته عمّا يتناقله «أوغاد الشام وأوباش العراق» في أنه حبر الدهر وناموسه، وحجّة المعبود وترجمانه...ومصباحه الذي يقطع به الطالب عرض الظلمة إلى فضاء النور...فنسبوك إلى غير حدّك، وقالوا فيك ما ليس فيك، فقل، فان أوّل من قال الحق لجدّك، وأوّل من صدّقه عليك أبوك...

فقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «أنا فرع من فروع الزيتونة، وقنديل من قناديل بيت النبوّة، ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور وصفوة الكلمة الباقية»[2].

وجاء رجل إلى الخليفة عمر بن الخطّاب، فقال له: إنّ علَيّ نذراً أن

١. الوسائل، ج٢٥، ص٩٤.

٢. بحار الأنوار، ج١٠، ص٢١٩.

أعتق نسمة من ولد إسماعيل. فقال الخليفة: والله ما أصبحت أثق إلاّ ما كان من حسن وحسين، فانّهم شجرة رسول الله[1].

وجاء عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قوله:

«شجرة أصلها رسول الله، وفرعها أمير المؤمنين، وأغصانها فاطمة بنت محمّد، وثمرتها الحسن والحسين عليهما السلام، فإنها شجرة النبوّة»[2].

واستعادة لما قاله الإمام الصادق للمنصور وقوله: «أنا فرع من فروع الزيتونة، وقنديل من قناديل بيت النبوّة».

نتطرق إلى ما ورد في التفاسير حول قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّه أَن تُرْفَعَ﴾؛ «هي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمّة الهدى»[3].

وإن هذه البيوت هي «بيت النبي صلى الله عليه وآله وبيت علي عليه السلام»[4].

وإنّها «بيوت الأنبياء وبيت علي منها»[5].

والتقى قتادة الإمام الباقر وقد اعترته حالة من الاضطراب حتّى قال له: والله لقد جلست بين يدي فقهاء، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك؟!

١. المناقب، ج٢، ص١٨٢.

٢. اليقين، ص٣١٨.

٣. تفسير الأصفى، ج٢، ص٨٤٩.

٤. الأمثل، ج١١، ص١١٠.

٥. البرهان، ج٤، ص٧٣.



فقال - الإمام عليه السلام: «أتدري أين أنت؟! أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع»[1].

وفي ضوء ذلك ندرك معنى قوله تعالى في خطابه لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[2].

وجاء في الأخبار أنّ رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله: أيُّ بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «بيوت الأنبياء».

قال أبو بكر وهو يشير إلى بيت علي وفاطمة: هذا البيت منها؟! فقال النبي صلى الله عليه وآله: «نعم! من أفضلها»[3].

«وهناك صلة تصويريّة بين مشهد المشكاة ومشهد البيوت على طريقة التناسق القرآنيّة في عرض المشاهد ذات الشكل المتشابه أو المتقارب، وهناك صلة مثلها بين المصباح المشرق بالنور في المشكاة والقلوب المشرقة بالنور في بيوت الله، تلك البيوت «أذن الله أن ترفع»، و(أذن الله) هو أمر للنفاذ، فهي مرفوعة قائمة، وهي مطهّرة رفيعة، وتتسق معها القلوب الوضيئة الطاهرة المسبحة الواجفة المصلّية؛ قلوب الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع...

في مقابل ذلك النور المتجلّي في السماوات والأرض المتبلور في

١. تفسير الصافي، ج٣، ص٤٣٦.

٢. الانشراح: ٢.

٣. شواهد التنزيل، ج١، ص٥٣٣.



بيوت الله المشرق في قلوب الإيمان، يعرض السياق مجالاً آخر؛ مجالاً مظلماً لا نور فيه؛ مخيفاً لا أمن فيه، ضائعاً لا خير فيه، ذلك هو مجال الكفر الذي يعيش فيه الكفّار...

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[1].

والخروج من الظلمات إلى النور يحصل من خلال هؤلاء الرجال؛ أهل الذكر والإيمان الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار.

وقد اشتهر في العديد من الروايات والأخبار حالات الخوف التي تعتري الإمام علي عليه السلام حتّى يغشى عليه؛ حتّى أن أحدهم شاهد الإمام يناجي الله سبحانه، وفجأة خرّ إلى الأرض كما لو أنه فارق الحياة، فبادر ليخبر زوجه البتول قائلاً: مات والله علي بن أبي طالب، لكنّها أجابت: هذه غشيّة تأخذه من خشية الله!

فعلي أمير المؤمنين هو في طليعة الرجال الذين تشير لهم الآية الكريمة ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[2]، والرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وهذه سورة الإنسان تشهد لأهل البيت وأئمّة الهدى من آل محمّد صلى الله عليه وآله وهم يومئذٍ على الأعراف يعرفون كلاًّ بسيماهم.

---

١. في ظلال القرآن، ج٢، ص٥٢٠.

٢. الأحزاب: ٢٣.



وقد سأل ابن الكوّاء - وكان ينتمي إلى الخوارج - الإمام - عليا عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾، فقال عليه السلام: «نحن على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم...فلا يدخل الجنّة إلاّ من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرَنا وأنكرناه.

إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه، ولكن جعَلَنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا، فإنهم عن الصراط لناكبون»[1].

«ليكوننّ على الأعراف بين الجنّة محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والطيّبون من آلهم، فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات...»[2] فيشفعون لهم.

فهؤلاء الرجال هم الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله[3]، لا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرَهم وأنكروه[4]، فهم شجرة النبي صلى الله عليه وآله التي هي شجرة مباركة؛ زيتونة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها. وفي مقابل هذه الشجرة المباركة ثمّة شجرة ملعونة في القرآن.

---

١. الكافي، ج١، ص١٨٤.

٢. بحار الأنوار، ج٨، ص٤٤.

٣. بصائر الدرجات، ص٥٠٠.

٤. تفسير العياشي، ج٢، ص١٨.

وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه قردة تنزّ على منبره أو رأى بني أمية ينزون على منبره كما تنزو القردة، فأصبح حزيناً، ونزل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، وقد روى ابن عبّاس أنّ الشجرة الملعونة هم بنو أمية[1]، وقد شاء الله أن تكون هذه الشجرة اللعينة فتنة وامتحاناً لعباده[2].

وكان على الأمة الإسلامية، التي يشكل العرب الغالبيّة الساحقة فيها، أن تختار إحدى هاتين الشجرتين، فاختارت الشجرة اللعينة، حدث ذلك في صفين وخاصّة في مأساة التحكيم، وهذا ما أشار إليه المفكّر الجزائري الراحل مالك بن نبي في قوله: إنّ صفين سنة ٣٨ هـ تمثّل تردّد المجتمع في الاختيار والاختيار الحتم بين علي ومعاوية؛ بين الحكم الديمقراطي في المدينة والحكم المستبد في دمشق، ولكن المجتمع المسلم ومع الأسف اختار الطريق الذي يؤدّي به إلى القابليّة للاستعمار ثمّ الاستعمار[3].

ومن المؤسف أنّ المجتمعات العربيّة ما تزال على ذات الاختيار الذي ما يزال يقودها إلى المزيد من المآسي، وهذه الدولة الوهابيّة الخبيثة التي

---

١. جامع البيان، ج١٥، ص٧٧؛ تاريخ الأمم والملوك، ج١١، ص٣٥٦، حوادث سنة ٢٨٤؛ الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٢٨٣ - ٢٨٦؛ تاريخ بغداد، ج٨، ص٢٨؛ الدرّ المنثور، ص٢٣١؛ كنز العمّال، ج٦، ص٩٠.

٢. الآلوسي، ج١٥، ص١٠٧.

٣. انظر: الفكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، ص١١١.



ما تزال تناصب أهل البيت العداء، وأصبحت ماكنة لتفريخ عصابات متطرّفة تمارس القتل باسم الإسلام، وترتكب جرائم بشعة على الهويّة والانتماء!

وقد قال الإمام محمّد الباقر عليه السلام آسفاً: «محنة الناس علينا عظيمة؛ إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا».

وانظر ما حلّ بالمجتمعات العربيّة من مآسٍ، وانظر كيف تنبعث الشجرة الملعونة متمثّلة بحركات داعش والنصرة، فتستبيح العالم الإسلامي، وتمارس الذبح والقتل المروّع تحت رايات سود مكتوب عليها زوراً «لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله»!! محمّد الذي أرسله الله رحمة للعالمين!

لقد انبعث الإسلام الأموي من جديد مدمّراً، عنيفاً، ينشر الخراب والدمار، ويمارس القتل على نحو همجي، ويعيد ارتكاب الجريمة الكبرى في عاشوراء سنة ٦١ هـ - عندما قتل سلالة آخر الأنبياء، وقتل الأطفال الرُّضع، ورفع الرؤوس فوق الرماح وفي طليعتها رأس الحسين عليه السلام !!

لقد تعرّضت الشجرة المباركة للظلم منذ العدوان الأوّل بهدف الحصول على الملك الأبدي[1].

وإذا ما أردنا أن نلج هذا الموضوع في ضوء الآيات القرآنيّة فإننا سنواجه الآيات ٣٥ وما بعدها والتي تتحدّث عن موضوع سكنى آدم وزوجه في

١. الأعراف: ١٩ - ٢٣.

الجنّة ونهيه عن الاقتراب من الشجرة:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدا حَيْثُ شِئْتُما وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وهؤلاء الظالمون لن ينالهم عهد الله:

﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاما قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

وهذا العهد الإلهي هو الإمامة التي انتقلت من إبراهيم إلى ذريّته إسحاق وإسماعيل، ومن إسماعيل إلى نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ إلى وصيّه الإمام علي عليه السلام وذريّته الطاهرة من فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولذا؛ فإن الذين شهدوا أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حقّ، لكنّهم جحدوا إمامة وصيّه، كانوا ظالمين.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللّه قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[3].

وقد استنكر القرآن الكريم محاولة بعض المسلمين مقارنة سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام مع الإيمان بالله والجهاد في إشارة إلى الإمام علي عليه السلام:

١. البقرة: ٣٥.

٢. البقرة: ١٢٤.

٣. آل عمران: ٨٦.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وثمّة شريحة أو مجموعة من المسلمين كانوا يتطلّعون أن تأتي أحكام النبي ﷺ وفق ما يشتهون وما يتطلّعون إليه! لذلك كانوا يُعرضون عن النبي ﷺ - عندما يدعوهم إلى طاعته في أمور لا تتماشى مع رغباتهم[2].

ولقد حذّر القرآن الكريم من الانقلاب على شريعة الله بعد غياب النبي ﷺ ووفاته:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[3].

وتكاد بعض آيات القرآن تصرّح بما حصل بعد رحيل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى قال سبحانه:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۝٢٧ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً ۝٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾[4].

فلدينا في آية الفرقان الظالم الذي يعض على يديه أسفاً؛ - لأنه لم يواصل طريقه في اتباع النبي ﷺ، ويتمنى أنه لم يتّخذ «فلاناً» خليلاً؛ لأن

١. التوبة: ١٩.

٢. النور: ٥٠ - ٥٤.

٣. آل عمران: ١٤٤.

٤. الفرقان: ٢٧ - ٢٩.

«فلاناً» هذا حرفه عن جادة الصواب، وسلك به طريق الضلال.

ولدينا في آية الهجرة أن النبي ﷺ ثاني اثنين في الغار؛ حيث صاحبه هو «الأوّل».

والآن لنلاحظ ما ورد في خطبة الإمام علي المعروفة بالشقشقيّة :

«حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلانٍ بَعْدَه»[1].

«مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ»[2].

لقد حصل عدوان على الشجرة، ومعروف أنّ الصحابة، وتحديداً «الأوّل» و«فلان»، احتجّا على الأنصار في السقيفة بشجرة الرسول ﷺ، وسلّم الأنصار لهما الخلافة.

فعبّر الإمام علي - عندما سمع «النبأ» عن أسفه قائلاً:

«احتجّوا بالشجرة، وأضاعوا الثمرة».

وقد سجّل التاريخ تفاصيل حوادث مريرة حصلت بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة مع الإمام علي عليه السلام وصي الرسول الأكرم ﷺ، ومع السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ .

ومن المؤسف أنّ العدوان على الشجرة المباركة ما يزال مستمرّاً، يأخذ

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣.

٢. نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣.



أشكالاً متعدّدة، فيظهر أحيانا عرفانيّاً صوفيّاً أو فقهيّاً اجتهاديّاً أو فلسفيّاً إشراقيّاً ومشائيّاً أو على نحو حركات سياسيّة أو اتّجاهات وتيارات فكريّة متطرّفة، أو دعوات متشنّجة تحاول التشكيك في تراث أهل البيت عليهم السلام؛ تلك الشجرة المقدّسة.

إصدارات الأديب كمال السيد

سلسلة في ظلال الزيتونة

٠- في ظلال الزيتونة (هذا الكتاب)
١- اسمه أحمد
٢- إلا علي
٣- دموع السماوات
٤- فاطمة حورية الأرض
٥- وكانت صديقة
٦- عاصفة السلام
٧- ألم ذلك الحسين
٨- أطول يوم في التاريخ
٩- الثورة امرأة
١٠- وسلاحه البكاء
١١- عليه السلام
١٢- جعفر أيها الصديق
١٣- على جسر بغداد
١٤- الطريق إلى خراسان
١٥- وكان تقياً
١٦- تراتيل في زمن الذئاب
١٧- فارس الزمن الغائب
١٨- بانتظار الذي يأتي
١٩- الشمس وراء السحب

سلسلة شهداء العراق

١- عواطف وأمل، حول الشهيدتين عواطف الحمداني وأمل الربيعي

٢- آخر أساطير الحب
٣- السماء تفتح أبوابها في المساء
٤- وفاء

سلسلة مع الصحابة والتابعين

١- أبو طالب ناصر الرسول
٢- جعفر الطيار
٣- حمزة سيد الشهداء
٤- مصعب الخير
٥- صوت العدالة أبو ذر الغفاري
٦- المقداد بن عمرو
٧- سلمان ابن الإسلام
٨- عمار بن ياسر
٩- مالك الأشتر
١٠- حبيب بن مظاهر
١١- ميثم التمار
١٢- المختار الثقفي
١٣- كميل بن زياد
١٤- سعيد بن جبير

سلسلة رجال خالدون

١- أسد الله حمزة
٢- صوت الحقيقة أبو ذر
٣- المقداد الفارس
٤- سلمان الفارسي
٥- رجل في الطريق عمار بن ياسر

٦- أسرار النخيل ميثم التمار
٧- السفير مسلم بن عقيل
٨- القائد مالك الأشتر
٩- كميل بن زياد
١٠- حبيب بن مظاهر

سلسلة الطريق إلى كربلاء

١- مسلم بن عقيل سفير الحرية
٢- الحر الرياحي رضي الله عنه فارس يختار المجد
٣- علي الأكبر فتى يشبه النبي
٤- القاسم بن الحسن وجهه يشبه القمر
٥- العباس بن علي بطل كربلاء
٦- أقمار فوق الرمال عبدالله بن الحسين ومحمد بن أبي سعيد وعبدالله بن الحسن

سلسلة أحسن القصص

١- أبونا آدم وأمنا حواء
٢- سفينة الإنقاذ، قصة سيدنا نوح
٣- عاصفة الغضب، قصة سيدنا هود
٤- هذه ناقة الله، قصة سيدنا صالح
٥- محطم الأصنام، قصة سيدنا إبراهيم
٦- السماء تمطر شهباً، قصة سيدنا لوط
٧- الذبيح، قصة سيدنا إسماعيل
٨- أيها الصديق، قصة سيدنا يوسف
٩- إنه أواب، قصة سيدنا أيوب
١٠- رحلة في الأعماق، قصة سيدنا يونس

١١- إلى مدين، قصة سيدنا شعيب
١٢- العبور، قصة سيدنا موسى
١٣- حجارة الانتصار، قصة سيدنا داوود
١٤- مملكة الإيمان، قصة سيدنا سليمان
١٥- عودة الروح، قصة سيدنا العزير
١٦- معجزة الخلق، قصة السيدة مريم
١٧- وحناناً من لدنا، قصة سيدنا يحيى
١٨- روح الله، قصة سيدنا عيسى
١٩- إنهم فتية آمنوا، قصة أصحاب الكهف والرقيم
٢٠- هجوم الأبابيل، قصة أصحاب الفيل

كتب متنوعة

١- الشمس وحديث المرايا، حول الإمام الخامنئي
٢- الإمام الخميني قوة الحق
٣- ويكتب وصيته الأخيرة، حول الشهيد قاسم سليماني
٤- النفس في قفص الاتهام
٥- غضب الشباب
٦- قطار الأمنيات
٧- الحسين يولد من جديد، عن الشهيد محمد باقر الصدر
٨- الرحيل نحو الأبدية، آخر ساعات الشهيد البحريني علي العرب قبل إعدامه
٩- القادم من هناك، حول الشهيد البحريني رضا الغسرة
١٠- الخارجون من الماء، حول المحرر من السجون البحرينية محمد طوق
١١- القمر والنهر، حول أبا الفضل العباس عليه السلام
١٢- أحلام الشباب



١٣- يهود المدينة
١٤- بولس سلامة شاعر الغدير وكربلاء
١٥- نشوء وسقوط الدولة الصفوية
١٦- الطريق إلى غدير خم
١٧- سيد غابات الشمال
١٨- آخر الليل (مجموعة قصصية)
١٩- سلمان الفارسي الباحث عن الحقيقة
٢٠- أبو ذر الغفاري نداء الحق
٢١- رايات الإصلاح، دور الحوزات في الدفاع عن الدين والعقيدة
٢٢- وهبّ النسيم، حول شهداء كتائب حزب الله
٢٣- الجزيرة المجهولة
٢٤- صراع الجبل
٢٥- اللصوص
٢٦- مدخل في دراسة الظروف التاريخية لولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف
٢٧- عزلة في أحضان الله، تجربة روحية في زمن الكورونا
٢٨- الإمام المهدي نظرة للتاريخ ورؤية للمستقبل
٢٩- الحقيقة تنتصر، قصة الصراع بين الإسلام والوثنية
٣٠- قصة بلوهر ويوذاسف
٣١- رعاة الشمس (١)، سيرة وحياة الصحابي عدي بن حاتم الطائي
٣٢- رعاة الشمس (٢)
٣٣- الجذور السياسية والاجتماعية والثقافية في نهضة الإمام الحسين عليه السلام
٣٤- اسمع يا أخي
٣٥- دنيا الفتيات
٣٦- رجل الأسرار
٣٧- في مواجهة الغزاة، قصص من تاريخ الإسلام



٣٨- هموم الأسرة العربية
٣٩- مناسبات في تاريخ الإسلام
٤٠- غريب في باخمري
٤١- تجارب العلماء في عصور الغيبة (١-٢)
٤٢- درر الأبحار في سيرة النبي وآله الأطهار
٤٣- دراسة في موسوعة الغدير
٤٤- الشهيد جيروم كورسل
٤٥- للشيطان صوت
٤٦- كلمات في الوقت الضائع
٤٧- الأميرة ومولد الشمس
٤٨- عين الأم
٤٩- الاحتفال الكبير
٥٠- قافلة الغمام
٥١- غدير في الطريق

من المؤسف أنّ العدوان
على الشجرة المباركة ما يزال مستمرّاً،
يأخذ أشكالاً متعدّدة، فيظهر أحياناً عرفانيّاً
صوفيّاً أو فقهيّاً اجتهاديّاً أو فلسفيّاً إشراقيّاً
و مشائيّاً أو على نحو حركات سياسيّة أو
اتّجاهات وتيارات فكريّة متطرّفة، أو دعوات
متشنّجة تحاول التشكيك في تراث أهل
البيت (ع)؛ تلك الشجرة المقدّسة.

كلمات

الموقع الرسمي